واجبات الداعية في ضوء مقاصد البعثة النبوية

دراسة استقرائية تحليلية

د. محمد بن فهد الحربي

الأستاذ المشارك في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية الدعوة وأصول الدين –جامعة أم القرى

Mfharbi@uqu.edu.sa

المستخلص:

يهدف بحث: (واجبات الداعية في ضوء مقاصد البعثة النبوية) إلى بيان واجبات الداعية في ضوء مقاصد الدعوة الأربعة: (التلاوة – التزكية – تعليم الكتاب – تعليم الحكمة)، واستعمل الباحث المنهج الاستقرائي ثم المنهج التحليلي. وخلص الباحث إلى نتائج؛ أهمها: أن مقاصد البعثة منظومة متكاملة لصياغة الشخصية المسلمة، بالتلاوة يتعمق الإيمان ويزداد الإقبال على كتاب الله. بتزكية النفس تبنى الشخصية المسلمة وشخصية الداعية على وجه الخصوص. اشتمل القرآن الكريم والسنة على موضوعات الدعوة ومنهجها وأساليبها ووسائلها. ولا قيمة لدعوة لا تجعل القرآن والسنة منهجًا وأسلوبًا ووسيلة.

الكلمات الدلالية:

واجبات –الداعي –المقاصد –البعثة.

Duties of the Preacher in Light of the Objectives of the Prophetic Mission An inductive analytical study

Dr. Muhammad bin Fahd Al-Harbi
Associate Professor in the Department of Islamic Call and Culture
College of Da'wah and Fundamentals of Religion -Umm Al-Qura University
Mfharbi@uqu.edu.sa

summary:
The research: (Duties of the Preacher in Light of the Objectives of the Prophetic Mission **An inductive analytical study**) aims to clarify the duties of the preacher in light of the four objectives of da'wah: (recitation – purification – teaching the Book – teaching wisdom). The researcher used the inductive method followed by the analytical method. The researcher concluded with results, the most important of which are: The objectives of the mission are an integrated system for shaping the Muslim personality. Through recitation, faith is deepened and interest in the Book of God increases. Through purification of the soul, the Muslim personality is built, especially the personality of the preacher. The Quran and the Sunnah include the topics of da'wah, its methodology, methods, and means. There is no value to a da'wah that does not make the Quran and the Sunnah its methodology, method, and means.

Keywords: Duties -Preacher -Objectives -Mission.

واجبات الداعية في ضوء مقاصد البعثة النبوية - دراسة استقرائية تحليلية

د. محمد بن فهد الحربي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد الأمين، **أما بعد:**

فلقد بعث الله تعالى رسوله ﷺ لهداية الناس، وجعل هذه المهمة على يديه دعوة وتعليماً وبياناً وإرشاداً وتزكية وتربية، وأنزل عليه كتابه الكريم الذي فيه سعادتهم فقال: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [سورة إبراهيم:١]، وقال: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [سورة المائدة:١٥-١٦]، وجعل الإيمان به واتّباعه فيما جاءهم به طريقاً لتحقيق الهداية، فقال: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [سورة الأعراف:١٥٨].

وقد كان ﷺ حريصًا على هداية الخلق، فبذل كل طاقاته لنشر الدعوة، وسعى للأخذ بكل سبب يوصل الناس إلى الهداية، وحاول سد طرق الضلال والغي بغاية ما يمكنه، مع التوكل على الله في ذلك، وكان ﷺ يفرح لهداية المهتدين ويحزن ويأسى لكفر من كفر منهم، قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨﴾ [سورة فاطر:٨]، واستطاع ﷺ بتوفيق الله تعالى ثم بإيمانه العميق به وتوكله عليه القيام بالدعوة وتربية أتباعه تربية قرآنية حكيمة، متمثّلاً توجيهات الكتاب الكريم، فغيّر أوضاع الأمة التي بُعث إليها، واجتث عقيدتها الفاسدة المشوهة القائمة على الشرك، واستبدلها بعقيدة التوحيد، وكمّل مكارم أخلاق الأمة، وجاء بالتشريعات التي تصلح حالها في العاجل والآجل، فغدت أمته خير أمة أخرجت للناس، وشهد الله تعالى لها بالخيرية فقال: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وإن المتأمل الواعي في المنهج الدعوي للنبي ﷺ يجده قد ارتكز على تحقيق الدعائم التي أرسل من أجل تحقيقها، وهي أربع دعائم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وهذه هي مقاصد البعثة النبوية التي تضافرت على تأكيدها أربع آيات من آيات القرآن الكريم، والدعاة إلى الله اليوم بحاجة إلى فهم نصوص تلك المقاصد للنهوض بالعمل الدعوي، ومعالجة المشكلات والعوائق التي تعترض طريق دعوتهم، وترتيب أولوياتهم الدعوية، مقتدين بالداعية الأول ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [سورة الأحزاب:٢١].

ولما كانت مقاصد البعثة المحمدية قد تعاضدت عليها النصوص، وتضافرت في عرضها آيات الذكر الحكيم، كان لزاماً على الدعاة معرفة واجباتهم الدعوية تجاه تحقيق تلك المقاصد في عالم الدعوة اليوم وفي كل عصر، ولقد كان هذا المنطلق هو الباعث للبحث في تلك المقاصد مع التركيز على واجبات الدعاة نحوها، وقد جعلت البحث تحت عنوان: **(واجبات الداعية في ضوء مقاصد البعثة النبوية: دراسة استقرائية تحليلية)**.

وتكمن أهمية البحث في الضرورة الشرعية والعملية لربط الدعوة بمقاصد بعثة النبي ﷺ؛ لأن فقه الداعية المبني على هذه المقاصد تبيين المصالح والمفاسد، وطرق الجمع بينها عند التزاحم وترتيب الأولويات والبدء بالأهم فالمهم، والتمييز بين الأهداف المرحلية للدعوة والغائية الكبرى، وبيان ما ينبغي للداعية القيام به، لتكون دعوته على بصيرة كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

مشكلة البحث وأسئلته:

ينطلق البحث من مشكلة ماثلة في الساحة الدعوية اليوم، وهي عدم إدراك بعض الدعاة لمقاصد البعثة النبوية التي بها صلاح المدعوين، والقصور في ترتيب أولوياتهم الدعوية، وواجباتهم نحو تلك الأولويات، فأخذ بعضهم يناقش قضايا دعوية هامشية تفرق أكثر مما تجمع، وبناء على هذه الإشكالية يسعى البحث للإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما مفهوم واجبات الداعية؟

٢. ما مقاصد البعثة النبوية كما وردت في القرآن الكريم؟

٣. ما واجبات الداعية تجاه كل مقصد من تلك المقاصد؟

أهداف البحث:

يسعى البحث لتحقيق الآتي:

١. التعريف بمفهوم مقاصد الدعوة وواجبات الداعية.

٢. بيان مقاصد البعثة النبوية كما وردت في القرآن الكريم.

٣. ربط الدعوة بمقاصد البعثة النبوية لترشيد الخطاب الدعوي وتسديده.

٤. بيان واجبات الداعية في ضوء كل مقصد من مقاصد الدعوة الأربعة: (التلاوة –التزكية –تعليم الكتاب– تعليم الحكمة).

منهج البحث:

تقتضي موضوعات هذا البحث أن يعالج من خلال منهجين؛ هما: المنهج الاستقرائي ثم المنهج التحليلي.

حدود البحث:

تنطلق فكرة البحث من أربع آيات ناطقة بمقاصد البعثة النبوية هي: الآيتان (١٢٩) و(١٥١) من سورة البقرة، والآية (١٦٤) من سورة آل عمران، والآية (٢) من سورة الجمعة، ثم يستقرئ الباحث نصوص الكتاب التي تصب في فكرة البحث ومحوره، ويقوم بتوظيف الشواهد في بيان واجبات الداعية تجاه تلك المقاصد.

الدراسات السابقة:

هذا البحث يكاد يكون جديداً في موضوعه ومضمونه؛ فلم يتم تناول مقاصد البعثة النبوية، وواجبات الداعية في ضوئها –حسب استقراء الباحث–، ومما ظفر به الباحث:

١ – دراسة بعنوان: (الدعوة إلى الله في ميادينها الثلاثة)، لمحمد حامد الغامدي، وقد اقتصر الباحث على ذكر ميادين الدعوة ثلاثة، ولم يتعرض لواجبات الداعية تجاه كل ميدان من الميادين.

٢ – دراسة بعنوان: منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله)، لأنس كرزون، وهي تتناول التزكية في الإسلام بشكل عام، ولم تتطرق لواجبات الداعية تجاه هذا المقصد، بينما تنفرد دراستي بتناوله في ضوء آيات مقاصد البعثة، كما تناولت واجبات الداعية تجاه توظيف هذا المقصد.

٣ – دراسة بعنوان: (فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية)، لسعد بن عبد الله القعود، يدور الكتاب على أربعة محاور: مقاصد الدعوة – إعداد الداعية لتحقيق مقاصد الدعوة – أثر فقه مقاصد الدعوة في حياة الداعية – الفهم الخاطئ لمقاصد الدعوة وأثره في الدعوة إلى الله. وهي دراسة تأصيلية طيبة، وهي تختلف عن دراستي من حيث إن دراستي تتناول واجبات الداعية في مقاصد البعثة النبوية، وليس في ضوء مقاصد الدعوة، ومن ثم فالفرق بينهما واضح، وكبير.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة؛ وفيها: عنوان أهميته، ومشكلته وأسئلته، وأهدافه، ومنهجه وحدوده، والدراسات السابقة، وخطته.

المبحث الأول: الإطار النظري: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم واجبات الداعية، ومفهوم مقاصد البعثة، وتعريفها الإجرائي.

المطلب الثاني: عرض مختصر لمقاصد البعثة النبوية.

المبحث الثاني: واجبات الداعي في ضوء مقاصد البعثة النبوية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: واجبات الداعي المتعلقة بمقصد التلاوة.

المطلب الثاني: واجبات الداعي المتعلقة بمقصد التزكية.

المطلب الثالث: واجبات الداعي المتعلقة بمقصد تعليم الكتاب.

المطلب الرابع: واجبات الداعي المتعلقة بمقصد تعليم الحكمة.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث، وتوصياته.

المبحث الأول

الإطار النظري

المطلب الأول: مفهوم واجبات الداعي، ومفهوم مقاصد البعثة، وتعريفها الإجرائي

أولاً: واجبات الداعية:

واجبات الداعية مركب إضافي مكون من مضاف وهو واجبات، ومضاف إليه وهو الداعية، ولابد من تعريف الجزئين للوصول إلى مفهوم واجبات الداعية.

١- تعريف الواجبات:

الواجبات في اللغة: جمع واجب، مأخوذ من وجب وجوباً، ويطلق على معنيين:

أحدهما: الساقط، وجب بمعنى سقط؛ ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾[الحج: ٣٦]. أي: سقطت جنوبها إلى الأرض، والوجبة السقطة [١]، "حيث إنا نتخيل الحكم أو الشيء الواجب جزماً سقط، أي: وقع على المكلف من الله تعالى"[٢].

ثانيهما: اللزوم والثبات والاستحقاق، يقال: وجب الشيء وجوباً، أي: لزم لزوماً، وأوجبه الله تَعَالَى، واستوجبه أي: اسْتَحَقَّه[٣].

واصطلاحاً: من تعريفاته: "ما ذُمَ تاركه شرعاً"[٤].

والواجب التكليفي عند الأصوليين: هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاء أو تخييراً[٥].

---

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (٢٣١/١)، لسان العرب، ابن منظور، (٧٩٤/١).

(٢) المهذب في علم أصول الفقه المقارن، النملة، (١٤٧/١).

(٣) ينظر: ينظر: الصحاح، الجوهري، (٢٣١/١)، لسان العرب، ابن منظور، (٧٩٤/١).

(٤) شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول، القرافي، (ص: ٧١)، شرح مختصر الروضة، الطوفي، (٣٥٩/١).

(٥) البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، (٩١/١).

لم يجد الباحث تعريفا اصطلاحيا لواجبات الداعية في المجال الدعوي ويبدو – والله أعلم – أن المقصود بالواجب الدعوي: ما يلزم الداعي القيام به نحو المدعوين من أجل تحقيق أهداف ومقاصد الدعوة.

ولما كانت الدعوة إلى الله أحسن الأعمال أمر الإسلام أتباعه القيام بها وجعلها في مستوى الواجبات الضرورية إذا قام بها البعض سقط عن الباقين، فهي وسيلة لإيصال حقها إلى أصحابها؛ تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾[الإسراء: ١٥]، فهي بهذا في درجة الوسائل الواجب القيام بها، ومعلوم أن الوسائل لا تراد إلا لمقاصدها(٦)، فإذا اعتبرنا أن من مقاصد الدعوة المعتبرة الواجبة السعي إلى هداية الناس على كل مستطيع من الدعاة، فإنها تصبح في حق من سلك طريقها فرض عيني، وفي حق غيره فرضا كفائياً(٧).

وتعدد الواجبات الكفائية مظهر لأهميتها البالغة، والمصالح المتوخاة منها، فالإسلام دين جاء بالصلاح والإصلاح للبشرية كافة، ورفع من مكانة المصلحين، وجعلهم سببا لرفع العذاب عن الناس لقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾ [هود: ١١٧].

وسبب تسميتنا لها واجبات تنطلق من حيثية تخصص الداعية للدعوة، وإلزام نفسه سلوك سبيل الدعاة إلى الله تعالى، كان لزاماً عليه أن يقوم بالواجبات التي تترتب على مقاصد الدعوة والبعثة النبوية.

٢- تعريف الداعي:

الداعي في اللغة: اسم فاعل، من دعا يدعو دعوةً ودعاءً، فهو داعٍ وداعية، وهو الذي يدعو الناس إلى بدعة أو دين أو فكرة، والْهَاء فِيهِ للْمُبَالَغَة، والدُعَاة: قوم يَدْعون إِلَى بَيْعةِ هدى أَو ضَلَالَة، قال تعالى مخبراً عن حال الجن بعد سماعهم القرآن:﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ

(٦) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، (٣٨٦/٦)، قواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية: دراسة فقهية، عابد الثبيتي، (ص: ٢٠٤).

(٧) علم الدعوة إلى الله تعالى: حقيقته وأهميته، دراسة تأصيلية، محمد بن سعد بقنة الشهراني، (ص: ٤٨).

﴿٣١ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٣٢﴾ [الأحقاف: ٣١ -٣٢]. فالدعوة: الطلب والمناداة، وأن تميل الشيء إليك بصوت، وبكلام يكون منك[٨].

واصطلاحا: من سخّر حياته ووقته وجهده ونفسه وما يملك في سبيل تبليغ هذا الدين، ولم يأل جهداً في خدمة الدعوة ومقاصدها وأهدافها ومصالحها[٩].

والداعية مبلغ للإسلام داع إلى تطبيقه بقدر استطاعته، ووظيفته هي وظيفة الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فالأنبياء قدوتهم وأعظمهم محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ٤٦﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦]، وقال: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ٦٧﴾ [الحج:٦٧]، وقال:﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٨٧﴾ [بالقصص: ٨٧]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ٣٦﴾ [الرعد:٣٦].

ومن خلال ما تقدم نستطيع تعريف واجبات الداعية: ما يلزم الداعي إلى الإسلام بيانه مما يتعلق بمقاصد الدعوة، التي يحصل بها الفلاح وسعادة الدارين. أو: ما يلزمه أن يقوم به في حق نفسه، ودعوته والمدعوين.

ثانياً: مقاصد البعثة النبوية:

مقاصد البعثة: مركب إضافي مكون من مضاف وهو (مقاصد) ومضاف إليه وهو (البعثة)، ولابد من تعريف جزئيه للوصول إلى المعنى.

---

[٨] ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، (٧٨/٣)، مقاييس اللغة، ابن فارس، (٢٧٩/٢)، لسان العرب، ابن منظور، (٢٥٩/١٤)، المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، (٢٨٦/١)، معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر، (٧٤٨/١).

[٩] صفات الداعية إلى الله في الحديث النبوي، أحمد الجبوري، (ص: ١٤).

١- تعريف المقاصد:

المقاصد في اللغة: جمع مقصِد، مصدر ميمي من قَصَدَ يقصد قصداً، فهو قاصد، وله عدة استعمالات؛ أبرزها: والغاية والهدف[١٠]، والطريق المستقيم[١١]، والسهولة والقرب[١٢]، والاستواء والعدل والتوسط بين الإفراط والتفريط[١٣]، والاعتزام والاعتماد والأَمُّ[١٤]، والمطلبُ السديد[١٥].

والمعنى الأول – الغاية والهدف – هو ما يهمنا في هذا البحث؛ كونه الأقرب تعلقًا بمقصوده، وإن كانت بقية المعاني يمكن أن يكون لها وجه تعلق إلا أن الأول هو أظهرها.

واصطلاحا:

لا يوجد تعريف تم الاصطلاح عليه عند الدعاة والعلماء، وإنما هناك محاولات من بعض الباحثين لصياغة تعريفه، ومن تلك التعريفات:

فقيل: هي الغايات الكلية المستقاة – بالاستقراء – من الإسلام في جانبه التبليغي، بغر ض رسم الفلسفة الكلية للتعريف به، وتحديد أولويات الدعوة إليه، وترشيد حركة العاملين له من الدعاة والعلماء"[١٦].

وقيل: هي عملية بيان هدف الدعوة إلى الله تعالى، وتحديد المطلب الذي يسعى الدعاة إلى الله تعالى لتحصيله، ووضعها في إطار شرعي، والعمل لتحقيقه، والاستقامة على الطريق بالضوابط الشرعية التي أمر الله بها"[١٧].

ويمكن أن يعرفها الباحث بقوله: هي الغايات الرشيدة، والمآلات المحمودة التي يرمي إليها الشارع من الأمر بالدعوة إلى دينه؛ عقيدة وشريعة وأخلاق.

---

[١٠] معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر، (١٨٢٠/٣).

[١١] لسان العرب، ابن منظور، (٣٥٣/٣).

[١٢] ينظر: تاج العروس، الزبيدي، (٤٣/٩)، المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (ص: ٤٠٤).

[١٣] لسان العرب، ابن منظور، (٣٥٣/٣).

[١٤] مقاييس اللغة، ابن فارس، (٩٥/٥)، القاموس المحيط، الفيروزآبادي، (٣٢٤/١).

[١٥] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، (٥٠٥/٢).

[١٦] مقاصد الدعوة الإسلامية: دراسة تأصيلية، أيمن عطا الله، (ص: ١٥).

[١٧] فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية، سعد القعود، (ص: ١١).

٢- تعريف البعثة:

البعثة في اللغة: من بعث يبعث بعثًا وبعثة، وله معانٍ في اللغة، وأهمها: الإرسال، يقال: بعثه، أرسله وحده[١٨]، والإيقاظ، يقال: بعثه من نومه، أي: أيقظه[١٩]، والإثارة والتهييج، أثاره وهيجه، يقال: بعث الناقة، أي: أثارها[٢٠]، الإحياء بعد الموت، ومنه: بعث الله الناس بعد الموت، أي: إحياؤهم[٢١]، الحمل على الشيء، بعثه على الأمر، حمله على فعله وأجبره[٢٢].

والمعنى الأول - الإرسال - هو ما يهمنا في هذا البحث؛ كونه الأقرب تعلقًا بمقصوده، وإن كانت بقية المعاني يمكن أن يكون لها وجه تعلق إلا أن الأول هو أظهرها.

واصطلاحا: هي إرسال الله ﷻ رسوله محمداً ﷺ ليدعو الناس إلى دينه لما فيه مصلحتهم في الدنيا والآخرة.

المراد بمقاصد البعثة النبوية: المطالب والغايات الكبرى التي لأجلها أرسل الله رسوله محمداً ﷺ وبها تتحقق مصالح الدعوة والداعية والمدعو في الدارين.

التعريف الإجرائي لعنوان البحث: ما يلزم الداعية القيام به بغية تحقيق الغايات والمطالب التي لأجلها بعث الله نبيه محمداً ﷺ وغايتها القصوى إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

وقد تجلت بوضوح في أربعة مقاصد كما بينتها آيات البقرة وآل عمران والجمعة، كما سيأتي.

المطلب الثاني: عرض مختصر لمقاصد البعثة النبوية

بيّن القرآن الكريم مقاصد البعثة النبوية في أربعة مقاصد، هي: مقصد التلاوة، ومقصد التزكية، ومقصد تعليم الكتاب، ومقصد تعليم الحكمة. قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقال: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا

[١٨] تهذيب اللغة، الأزهري، (٢٠١/٢)، الصحاح، الجوهري، (٢٧٣/١)، لسان العرب، ابن منظور، (١١٦/٢).
[١٩] لسان العرب، ابن منظور، (١١٧/٢).
[٢٠] تهذيب اللغة، الأزهري، (٢٠١/٢)، مقاييس اللغة، ابن فارس، (٢٦٦/١)، شمس العلوم، نشوان الحميري، (٥٧٣/١).
[٢١] تهذيب اللغة، الأزهري، (٢٠١/٢).
[٢٢] لسان العرب، ابن منظور، (١١٦/٢).

مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ [البقرة: ١٥١]، وقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ [الجمعة: ٢]، وزادت الآية (١٥١) من سورة البقرة مقصدا خامسا وهو: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

وقد جاءت التزكية في آية سورة البقرة ١٥١، وآية سورتي آل عمران والجمعة قبل التعليم؛ لأن التربية الخلقية مقدمة على التربية العملية، فـ"آيات القرآن تعلمنا التفكير والمنطق ودقة اللفظ وترتيب الأفكار، والله ﷻ رتب هذه الصفات على حسب ترتيب وجودها؛ لأن أول تبليغ الرسالة القرآن، ثم يكون تعليم معانيه كما في قوله في موضع آخر: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٨-١٩]، فإذا ما حصلت على علم القرآن انتقلت إلى المرحلة الأخيرة وهي التزكية. وهذا يعود إلى ترتيب الأولويات والأهمية في الخطابين، فعندما دعا ابراهيم عليه السلام ربه أن يرسل رسولاً أخّر جانب تزكية الأخلاق إلى آخر مرحلة بعد تلاوة الآيات وتعليمهم الكتاب والحكمة. أما في آية سورة الجمعة وسورة البقرة وسورة آل عمران فالخطاب من الله تعالى بأنه بعث في الأميين رسولاً يتلو عليهم آياته ويزكيهم قبل مرحلة يعلمهم الكتاب والحكمة؛ لأن الجانب الخُلُقي يأتي قبل الجانب التعليمي، ولأن الإنسان إذا كان غير مزكّى في خلقه لن يتلقى الكتاب والحكمة على مُراد الله تعالى، والرسول ﷺ من أهم صفاته أنه على خلق عظيم كما شهد له رب العزة بذلك في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم:٤]"[٢٣].

وأول مراحل تبليغ الرسالة يكون بتلاوة القرآن، ثم تزكية النفوس ثم بتعليم الكتاب والحكمة؛ لأنهما يكونان بعد التبليغ والتزكية للنفوس.

[٢٣] لمسات بيانية في آيات القرآن الكريم، السامرائي، (١/٣٤٦).

والمتدبر لهذه للسياقات القرآنية يجد رابطا مشتركا بين هذه الآيات وهو التعبير بقوله تعالى: (فيهم) و(منهم)، ولذلك غايات دعوية وتربوية واجتماعية عظيمة، وعلى رأسها حصول الفهم والتفهيم والبلاغ المبين، والاستجابة، والانتفاع، وثمت نصوص تعضد هذا، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٤﴾ [إبراهيم: ٤]، وهذه الآية تبين أهمية مخاطبة الناس بلغتهم لفهم الرسالة وتوضيح الحق لهم، وهذا يدل على أهمية مراعاة حال المدعوين في الدعوة، وتختتم ببيان أن الهداية بيد الله وحده، يهدي من يشاء بفضله ويضل من يشاء بعدله.

وقوله: ﴿إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، أي: من جنسهم ليتمكنوا من مخاطبته وسؤاله ومجالسته والانتفاع به، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ۝١٣٠﴾ [الأنعام: ١٣٠]، فهذا أبلغ في الامتنان أن يكون الرسل إليهم منهم، بحيث يمكنهم مخاطبته ومراجعته في فهم الكلام عنه، "وهذا من لطفه بعباده أنه ما أرسل رسولاً ﴿إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ ما يحتاجون إليه، ويتمكنون من تعلم ما أتى به، بخلاف ما لو كانوا على غير لسانهم، فإنهم يحتاجون إلى أن يتعلموا تلك اللغة التي يتكلم بها، ثم يفهمون عنه، فإذا بين لهم الرسول ما أمروا به، ونهوا عنه وقامت عليهم حجة الله ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ممن لم ينقد للهدى، ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ ممن اختصه برحمته"[٢٤].

ففي هذه الآيات انتظمت مقاصد الدعوة الأربعة، كما وضحت سورة الجمعة نتيجة العمل هي الإخراج من الظلمات إلى النور، وبذلك تتضح مدخلات العمل الدعوي وغاياته، فهي دعوةٌ عامةٌ للناس جميعاً، وهي كلمة طيبة ترتكز على هذه المقاصد الدعوية الأربع التي يحرص الداعية على بثها في أفئدة المدعوين؛ لتكون النتيجة مباركة بإذن المولى عزّ وجلّ.

[٢٤] تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: ٤٢١).

"ومقاصد القرآن من إصلاح أفراد البشر وتزكية أنفسهم منها ما يكفي بيانه لهم في الكتاب مرة أو مرتين أو مرارا قليلة، ومنها ما لا تحصل الغاية منه إلا بتكراره مرارا كثيرة لأجل أن يجتث من أعماق الأنفس كل ما كان فيها من آثار الوراثة والتقاليد والعادات القبيحة الضارة، ويغرس في مكانها أضدادها، ومنها ما يجب أن يبدأ بها كاملة، ومنها ما لا يمكن إلا بالتدريج، ومنها ما لا يمكن وجوده إلا في المستقبل، ومنها ما يكفي فيه الفحوى والكناية. والقرآن كتاب تهذيب وتربية عملية وتعليم، فلا يكفي أن يذكر فيه كل مسألة مرة واحدة واضحة تامة كالمعهود في متون الفنون وكتب القوانين، وقد بين الله تعالى ذلك بقوله في موضوع البعثة المحمدية: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢]، فآياته المتلوة هي سور القرآن، المرشدة إلى سننه في الأكوان، والتزكية هي التربية بالعمل وحسن الأسوة، و(الكتاب) هو الكتابة التي تخرج العرب من أميتهم، و(الحكمة) هي العلوم النافعة الباعثة على الأعمال الصالحة، وما يسمى في عرف شعوب الحضارة بالفلسفة، فجميع مقاصد القرآن تدور على هذه الأقطاب الثلاثة"[٢٥].

وهذه الآية تبرز مقاصد الدعوة النبوية التي تتمثل في: تلاوة آيات الله، وتزكية النفوس، وتعليم الكتاب والحكمة، فهي تتضمن منهجًا إصلاحيًّا شاملًا.

[٢٥] ينظر: الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، (ص: ١١٩).

المبحث الثاني: واجبات الداعية في ضوء مقاصد البعثة النبوية

تضافرت نصوص الوحي على عرضها وبيانها، ويمكن استعراضها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: واجبات الداعية المتعلقة بمقصد التلاوة

هذا هو المقصد الأول من مقاصد البعثة المحمدية، وهو مقصد عظيم تعضده كثير من الشواهد القرآنية، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقال: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ [البقرة: ١٥١]، وقال: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الجمعة: ٢].

والتلاوة في اللغة: مصدر تلا يتلو تلاوة، ولها عدة معان:

– **الاتباع**، يقال: تلوته إذا تبعته، وتلو الشيء الذي يتلوه، وتلو الناقة ولدها الذي يتلوها، وتلوت القرآن تلاوة، وتلوت الرجل أتلوه تلوا، إذا تبعته، وتتليت حقي إذا تتبعته حتى استوفيته، وجاءت الخيل تتالي أي: متتابعة[٢٦].

و"تَلَاهُ: تبعه متابعة ليس بينهم ما ليس منها، وذلك يكون تارة بالجسم وتارة بالاقتداء في الحكم، ... وتارة بالقراءة وتدبّر المعنى، ومصدره: تِلَاوَة ... والتلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة، تارة بالقراءة، وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهي، وترغيب وترهيب. أو ما يتوهم فيه ذلك، وهو أخصّ من القراءة، فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة"[٢٧].

فالتلاوة فيها ارتباط دائم بالقرآن واسترواح لتعاليمه، والعيش معه نفسياً وعملياً، فيجد له حلاوة متجددة، لا تخلق على كثرة الترداد، وهو ما عبر عنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١﴾ [البقرة: ١٢١]، وقوله: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ

---

[٢٦] ينظر: الصحاح، الجوهري (٦/٢٢٩٠)، مقاييس اللغة، ابن فارس، (١/٣٥١).

[٢٧] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (ص: ١٦٧)، باختصار.

أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر: ٩]، وقوله: ﴿۞لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ۝١١٣﴾ [آل عمران: ١١٣]، "فيكون له بحسب كل فهم لآية منه حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ... فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة، فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت، وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح، وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته، وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله ﷻ كذكرهم الله ﷻ ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم، وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا إليها، وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها"[٢٨].

والتلاوة تشمل قراءة اللفظ وحفظه وتحفيظه، والتذكير به وبآياته، الدالة على صدقه، وعلى تفصيل آيات الله في خلقه، كبراهين التوحيد والتنزيه، ودلائل النبوة والبعث، وتلاوته ذكرها المرة بعد المرة لترسخ في النفس، وتؤثر في القلب"[٢٩]، أو لفت أنظارهم إلى الآيات الكونية العقلية، وهي ما يسمى اليوم بقراءة التأمل في الكون الواسع، ولفت النظر إلى عجائب التقدير الإلهي الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

هذه هي التلاوة المطلوب من الداعي أن ينبه نفسه والمدعوين عليها، إنها التلاوة الداعية إلى الفعل والعمل البنَّاء وتحول الآيات إلى منهج حياة.

ونصوص القرآن الكريم الدالة على هذا المقصد كثيرة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ﴾ [القصص: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ۝١٠ رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ﴾ [الطلاق: ١٠-١١]، وقال تعالى: ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ۝٣﴾ [البينة:٣]، وقال: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الرعد: ٣٠]، وقال: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ

[٢٨] إحياء علوم الدين، الغزالي، (١/٢٨٥)، باختصار وتصرف يسير.

[٢٩] ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، (١/٣٨٨).

رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ [النمل: ٩١-٩٢].

ومن واجبات الداعية المتعلقة بمقصد التلاوة في هذه الآيات:

- تبليغ آيات الله للناس تلاوةً وبيانًا، لتقوم عليهم الحجة.

-التأكيد على أن تلاوة القرآن خير وسيلة لإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

-ربط المدعوين بالوحي لتحقيق العبودية لله وحده.

وقال تعالى: ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ٨﴾[المزمل: ٤ - ٨].

ومعنى ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ "بينه تبييناً، والتبيين لا يتم بأن يعجل في القرآن، إنما يتم بأن يتبين جميع الحروف ويوفي حقها من الإشباع"[٣٠]. فـ"أصله من قولهم: ثغرٌ رتل، إذا كان بين الثنايا افتراق ليس بالكثير ... ورتلت الكلام ترتيلاً إذا تمهلت فيه وأحسنت تأليفه، وقوله تعالى: ﴿تَرۡتِيلًا﴾ تأكيد في إيجاب الأمر به، وأنه مما لا بد منه للقارئ. واعلم أنه تعالى لما أمره بصلاة الليل أمره بترتيل القرآن حتى يتمكن الخاطر من التأمل في حقائق تلك الآيات ودقائقها، فعند الوصول إلى ذكر الله يستشعر عظمته وجلالته، وعند الوصول إلى الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف وحينئذ يستنير القلب بنور معرفة الله، والإسراع في القراءة يدل على عدم الوقوف على المعاني؛ لأن النفس تبتهج بذكر الأمور الإلهية الروحانية، ومن ابتهج بشيء أحب ذكره ومن أحب"[٣١].

ومن واجبات الداعية المتعلقة بمقصد التلاوة في هذه الآيات من سورة المزمل:

- الاهتمام بتلاوة القرآن وترتيله بتدبر؛ لأنه مصدر الهداية والقول الثقيل الذي يحمل أمانة الدعوة.

- الاجتهاد في قيام الليل، فهو أدعى للخشوع وأقوى في التأثير، ويعين على تحمل أعباء النهار الدعوية.

---

[٣٠] معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (٥/٢٤٠).

[٣١] مفاتيح الغيب، الرازي، (٣٠/١٥٣).

- الانقطاع إلى الله تعالى بالتبتل والذكر، فالداعية بحاجة إلى تزكية نفسه، وتقوية صلته بربه ليستمد القوة والثبات، فتلاوة "القرآن الكريم من أعظم ما يعزز جوانب التربية الدعوية"[٣٢]

وترتيل القرآن الكريم وسيلة دعوية كبرى، بها "يحصل التدبر والتفكر، وتحريك القلوب به، والتعبد بآياته، والتهيؤ والاستعداد التام له"[٣٣]، وشواهد ذلك كثيرة، ومنها: قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦ -١٠٩]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: ٨٣] ومما يجب على الداعي في هذا المقام الدعوي المبارك أن يسير وفق المنهج النبوي تلاوة وترتيلاً، ففي وصف تلاوة النبي ﷺ: ((وكان يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها))[٣٤]، وفي حديث آخر: ((كانت قراءته مدًّا، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾ [سورة الفاتحة:١]، يمد: ببسم الله، ويمد: بالرحمن، ويمد: بالرحيم))[٣٥].

وقال حذيفة ﷺ: ((صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسِّلا؛ إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل))[٣٦].

---

[٣٢] مدخل إلى التربية الدعوية، صالح بن عراد، (٣٣).

[٣٣] تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: ٨٩٢).

[٣٤] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جواز النافلة قائما وقاعداً، وفعل بعض الركعة قائما وبعضها قاعدا، (١/٥٠٧)، برقم (٧٣٣).

[٣٥] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة، (٦/١٩٥)، برقم (٥٠٤٦).

[٣٦] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، (١/٥٣٦)، برقم

ومن الواجبات على الداعي لتحقيق هذا المقصد العظيم غرس العقيدة الصحيحة، والولاء للإسلام بين المدعوين عقيدة وسلوكًا وإبراز شواهد الألوهية والربوبية، وغرس الاتجاهات الإيمانية من خلال التلاوة المرتلة الهادفة، فـ"المقصود بالدعوة وصول العباد إلى ما خلقوا له، من عبادة ربهم وحده لا شريك له"[٣٧]، و"معرفة الله بأسمائه وصفاته، ومعرفة ما ينبغي لجلاله، وما يتعالى ويتقدس عنه"[٣٨].

ويجب على الداعي أن يستثير عنصر الخشية في قلوب المدعوين بتلاوته الحسنة المرتلة حتى يتذكر من كتب الله له ذلك، وتتحقق له السعادة، ودليل ذلك، قوله تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤﴾ [طه: ١ -٤].

ومن واجبات الداعية المتعلقة بمقصد التلاوة في هذه الآيات:

- تبليغ القرآن برفق ولين، فهو تذكرة لا مشقة، والغاية منه هداية من يخشى الله لا تعسير الطريق عليه.
- تعظيم مصدر الوحي، فعلى الداعية يستشعر أن هذا التنزيل من خالق السماوات والأرض، فيبلّغه بمسؤولية.
- الوعي بمقاصد الشريعة التي تهدي إلى سعادة الإنسان وليس إلى شقائه.

فـ"الوحي والقرآن والشرع، شرعه الرحيم الرحمن، وجعله موصلا للسعادة والفلاح والفوز، وسهله غاية التسهيل، ويسر كل طرقه وأبوابه، وجعله غذاء للقلوب والأرواح، وراحة للأبدان، فتلقته الفطر السليمة والعقول المستقيمة بالقبول والإذعان، لعلمها بما احتوى عليه من الخير في الدنيا والآخرة، ولهذا قال: ﴿إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾ إلا ليتذكر به من يخشى الله تعالى، فيتذكر ما فيه من الترغيب إلى أجل المطالب، فيعمل بذلك، ومن الترهيب عن الشقاء والخسران، فيرهب منه، ويتذكر به الأحكام الحسنة الشرعية المفصلة، التي كان مستقرا في عقله حسنها مجملا فوافق التفصيل ما يجده في فطرته وعقله، ولهذا سماه الله (تَذْكِرَةً) والتذكرة لشيء كان موجودا، إلا أن صاحبه غافل عنه، أو غير مستحضر لتفصيله، وخص بالتذكرة (مَن يَخْشَى) لأن غيره لا ينتفع به، وكيف ينتفع به من لم يؤمن

(٧٧٢).

[٣٧] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٠/٢).

[٣٨] مفتاح دار السعادة، ابن القيم، (١١٥٩/٢).

بجنة ولا نار، ولا في قلبه من خشية الله مثقال ذرة؟ هذا ما لا يكون، ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢﴾ [الأعلى: ٩ -١٢]"[٣٩].

وكل دعوة أو منهج أو أسلوب أو وسيلة لا تتخذ من تلاوة القرآن الكريم موضوعا ومادة ومنهجاً ولا تجعل العقيدة موضوعها الأول فلا خير فيها، ولا ثمرة صالحة ترجى منها، بل قد يكون لها من النتائج السلبية والمآلات المدمرة ما لا يخطر على بال، فتثمر تشدداً وتطرفًا وتعصباً وتقليدا أعمى تستمر مخرجاته ونتائجه الأليمة على مدار قرون.

وما فتح رسول الله ﷺ مغاليق القلوب إلا بتلاوة القرآن وعرضه بين يدي المدعوين إنسهم وجنهم، قال ﷻ: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾ [ق: ٤٥].

وسماع القرآن وتلاوته هو طريق الإيمان والرشد والثبات على الحق قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن: ١ - ٢] وهو الطريق لتحقيق الدعوة؛ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٠ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣١﴾ [الأحقاف: ٢٩ -٣١].

ومن واجبات الداعية المتعلقة بمقصد التلاوة في هذه الآيات من سورة الاحقاف:

- الإنصات والتدبر عند سماع الوحي، وهو خلق ينبغي أن يتحلى به الداعية والمتلقي.
- القيام بالإنذار والدعوة بعد العلم، فمن سمع الحق عليه أن ينقله لغيره، وهي مسؤولية دعوية عظيمة.

الدعوة إلى الإيمان والاستجابة لداعي الله، وهي من صلب عمل الداعية.

- الترغيب في مغفرة الله والنجاة من العذاب استخدام أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة.

[٣٩] ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: ٥٠١).

فالدعوة بتلاوة القرآن أسلوب دعوي أصيل يغفل عنه الكثير من الدعاة اليوم، مع أنه منهج النبي ﷺ منذ البعثة، ففي السيرة: ((أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقّ له ... -ثم قال المغيرة لقومه:-والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته))[٤٠].

ويأتي في هذا السياق ما رواه محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه رضي الله عنه، قال: ((سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: ٣٥ -٣٧] قال: كاد قلبي أن يطير))[٤١].

ومن واجبات الداعي أن يبين للمدعوين ضرورة تدبر القرآن عند تلاوته، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، ففهم مرامي القرآن الكريم طريق لتحقيق التأثر ثم العمل، فعن عُبيد بن عُميرٍ، أنه قال لعائشة رضي الله عنها: ((أخبرينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله ﷺ، قال: فسكتَتْ؛ ثم قالت: لما كانت ليلة من الليالي قال: **يا عائشة! ذَريني أتعبد الليلة لربي**. قلت: والله إني أحب قربك، وأحب ما يسرك. قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بَلَّ حِجره. قالت: وكان جالساً فلم يزل يبكي ﷺ حتى بلَّ لحيته. قالت: ثم بكى حتى بلَّ الأرض. فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله! تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: **أفلا أكون عبداً شكوراً؟ لقد أُنزلتْ عليّ الليلَة آيةٌ؛ ويل لمن قرأها ولم يتفكر**

---

[٤٠] أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، (٢/٥٥٠)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه"، وينظر: دلائل النبوة، البيهقي، (٢/١٩٨)، صحيح السيرة النبوية، الألباني، (ص: ١٥٨).

[٤١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾} [ق: ٣٩]، (٦/١٤٠)، برقم (٤٨٥٤).

فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠ الآية كلها))[٤٢].

ومن واجباته أن يبين للمدعوين ثمرات تلاوة القرآن الكريم حق تلاوته وهو تحقيق الإيمان، والنجاة من الخسران، والفوز بتجارة رابحة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [البقرة: ١٢١]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩ -٣٠].

وعلى الداعي حث المدعوين على الخشوع والاستجابة للحق، قال تعالى: ﴿۞أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦].

ومن واجبات الداعية المتعلقة بمقصد التلاوة في هذه الآية:

- إيقاظ القلوب الغافلة.
- التحذير من قسوة القلب، وطول الأمل.
- الربط بين الإيمان والعمل القلبي.
- الاستفادة من التاريخ الدعوي للأمم السابقة في التحذير من الانحراف بعد الهداية.

ومن واجباته الالتزام بآداب التلاوة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨]، وقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤]

[٤٢] أخرجه ابن حبان في صحيحه، (٣٨٧/٢)، برقم (٦٢٠)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٦/٢).

ومن واجبات الداعية تمثل أحكام القرآن والعمل به، عن أبي عبد الرحمن السلمي قَالَ: ((حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ))[٤٣].

المطلب الثاني: مقصد التزكية وتعديل السلوك في الاتجاه الإسلامي الصحيح

دليل هذا المقصد الدعوي العظيم قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقوله: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥١]، وقوله: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ﴾ [الجمعة: ٢].

والتزكية مأخوذة من: زكا يزكو زكاء زكواً وتزكية وزكاء، ولها عدة معان في اللغة:

- **النماء والزيادة والبركة**، يقال: زكا الزرع يزكو زكاء، أي: نما وزاد، وكل شيء يزداد وينمو فهو يزكو زكاء[٤٤].
- **الطهارة**، قال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، أي: تطهرهم بها[٤٥].
- **الصلاح والتقى**، يقال: رجل تقي زكي، أي: زاكٍ من قوم أتقياء أزكياء[٤٦]، ورجل زكي، أي: صالح، قال تعالى: ﴿فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ٨١﴾ [الكهف: ٨١]، أي: صلاحاً[٤٧].
- **الطيب**، يقال: أرض زكية، أي: طيبة سمينة خصبة[٤٨].

---

[٤٣] أخرجه أحمد في المسند (٤٦٦/٣٨)، قال المحققون: "إسناده حسن".

[٤٤] تهذيب اللغة، الأزهري، (١٧٥/١٠)، مقاييس اللغة، ابن فارس، (٣٩٢/٢).

[٤٥] مقاييس اللغة، ابن فارس، (٣٩٢/٢)، لسان العرب، ابن منظور، (٣٥٨/١٤).

[٤٦] لسان العرب، ابن منظور، (٣٥٨/١٤).

[٤٧] معاني القرآن، الفراء، (١٥٧/٢).

[٤٨] تاج العروس، الزبيدي، (٢٢٤/٣٨)، المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، (٣٩٧/١)، معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر، (٩٨٩/٢).

– **المدح**، زكاه الله، وزكى نفسه تزكية، مدحها وأثنى عليها، وزكى الرجل نفسه إذا وصفها، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ [النجم: ٣٢].

و"هذه التزكية لها تفسيران؛ **الأول**: ما يفعله سوى التلاوة وتعليم الكتاب والحكمة حتى يكون ذلك كالسبب لطهارتهم، وتلك الأمور ما كان يفعله عليه السلام من الوعد والإيعاد والوعظ والتذكير وتكرير ذلك عليهم ومن التشبث بأمور الدنيا إلى أن يؤمنوا ويصلحوا، فقد كان عليه السلام يفعل من هذا الجنس أشياء كثيرة؛ ليقوي بها دواعيهم إلى الإيمان والعمل الصالح، ولذلك مدحه تعالى بأنه على خلق عظيم، وأنه أوتي مكارم الأخلاق. **الثاني**: يزكيهم، يشهد لهم بأنهم أزكياء يوم القيامة إذا شهد على كل نفس بما كسبت، كتزكية المزكي الشهود، **والأول** أجود؛ لأنه أدخل في مشاكلة مراده بالدعاء؛ لأن مراده أن يتكامل لهذه الذرية الفوز بالجنة، وذلك لا يتم إلا بتعليم الكتاب والحكمة، ثم بالترغيب الشديد في العمل والترهيب عن الإخلال بالعمل وهو التزكية"[٤٩].

فحقيقة التزكية تخلية وتحلية، قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [الشمس: ٩ – ١٠]، أي: "هذبها وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل والصفات الذميمة، كخبائث الاعتقادات ورذائل الشرك والنفاق والرياء، وسيء النيات والأخلاق والعادات، والأعمال والأقوال، ثم تنميتها وتكميلها وتحليتها والسمو بها في معراج الصفات الحميدة من سريرة صالحة وعلم نافع وعمل صالح، وفعل للمأمورات وترك للمنهيات، وارتقاء في فضائل الإسلام فالإيمان فالإحسان"[٥٠].

والتزكية إحدى المهمات التي من أجلها بعث الرسول ﷺ، بل هي غاية الرسالات وثمرتها، فـ"غاية الدين تزكية النفس بمعرفة الله وعبادته، وما شرعه من الأعمال والآداب للفوز بسعادة الدارين"[٥١].

والقرآن الكريم يقدم التزكية على التعليم في الآية الكريمة السابق الإشارة إليها، كما يتضح من السياق ويجعلها مقدمة له حيث تسهل العملية التعليمية وتدعمها قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾ [الأعلى: ١٤]. وقال:

---

[٤٩] مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، (٦١/٤).

[٥٠] ينظر: تزكية النفس في القرآن الكريم، دراسة موضوعية، ناجي، (ص: ٥٦).

[٥١] تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، (٤٦١/٧، ٤٦٢).

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٧-١٠].

وعلى الداعية أن يعلم أن التزكية مهمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً، قال تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩﴾ [النازعات: ١٨ -١٩]، لأن صلاح العباد قائم على التزكية.

على الدعاة إلى الله تعالى أن يجعلوا مقصد التزكية من أولوياتهم الدعوية، فيسعون لتزكية الفرد وتزكية المجتمع، والسر في تقديم التزكية على تعليم الكتاب والحكمة لأنه لابدّ من تربة صالحة ينمو فيها الإيمان، ولابد من تعهد بالتربية والتعهد والإصلاح. ويجب على الداعي أن يسعى لتزكية المدعوين بجملة من الطرق والوسائل، وأهمها:

-الدعوة إلى التوحيد الخالص، ويكون بتمثل معاني كلمة التوحيد وفهم مقتضياتها، والعمل بها، ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فالتوحيد الخالص يكون بالاعتقاد اليقيني القلبي وبالسلوك الظاهر معًا، فهو ما وقر في القلب وصدّقه العمل، وبذلك تتحقق العبودية الكاملة لله تعالى اعتقادًا وفكرًا وسلوكاً، فيعبد الله تعالى كأنه يراه.

ويتمثل غرس التوحيد والعقيدة الصحيحة بالجانب النظري ببيان المراد بالإسلام والإيمان والإحسان، ويتمثل الجانب السلوكي بتعزيز القيم الإيمانية والدوافع التي تثير السلوك نحو ممارسة الأعمال التعبدية لتحقيق مرضاة الله والفوز بالجنة في الآخرة، واستثارة الدوافع الإيمانية يتم من خلال الترغيب والترهيب، والقرآن الكريم مليء بآيات الترغيب والترهيب، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٥ -١٠].

والتوحيد الخالص مما يزكو به القلب؛ لأنه "يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب، وذلك طهارته، وإثبات إلهيته سبحانه؛ وهو أصل كل زكاة ونماء، فإن التزكي -وإن كان أصله النماء والزيادة والبركة- فإنما يحصل بإزالة الشر. فلهذا صار التزكي ينتظم الأمرين جمعياً. فأصل ما تزكو به القلوب والأرواح. هو التوحيد: والتزكية جعل الشيء زكيا، إما في ذاته، وإما في الاعتقاد والخبر عنه، كما يقال: عدَّلته وفسَّقته، إذا جعلته كذلك في الخارج، أو في الاعتقاد والخبر"[٥٢].

[٥٢] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، (١/٤٩).

– **تلاوة القرآن الكريم**، فالتلاوة بها تطمئن النفس، وينشرح الصدر، وتحصل الذكرى، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩]، فطريق السعادة في اتباع القرآن الذي أنزل للتدبر والتفكر في معانيه، لا لمجرد التلاوة، فلا يكون تدّبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده[٥٣].

– **المداومة على ذكر الله تعالى**، لأنه من أنجع وسائل التزكية، وقد أمر الله تعالى به فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٢]، وجعله طريقاً للمغفرة والجزاء العظيم، فقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمًا ٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ففي الحديث: ((**ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟** قالوا: وذلك ما هو يا رسول الله؟ قال: **ذكر الله** ﷻ))[٥٤].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: ٢٨] "أي: يزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها، (أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) أي: حقيق بها وحريٌّ ألّا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألذ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له"[٥٥].

– **المراقبة والمحاسبة**، وهما وسيلتان فعَّالتان في تزكية الأنفس والرقي بها، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾ [الحشر: ١٨ –١٩]، "أي: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم ... اعلموا أنه عالم

---

[٥٣] ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٦٤/٧).

[٥٤] أخرجه أحمد في المسند، (٣٣/٣٦)، برقم (٢١٧٠٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٤/٢).

[٥٥] تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: ٤١٧).

بجميع أعمالكم وأحوالكم لا تخفى عليه منكم خافية، ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير. ولا تنسوا ذكر الله فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم، فإن الجزاء من جنس العمل"[٥٦].

فـ"هذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدها ... والحرمان كل الحرمان، أن يغفل العبد عن هذا الأمر، ويشابه قوما نسوا الله وغفلوا عن ذكره والقيام بحقه، وأقبلوا على حظوظ أنفسهم وشهواتها، فلم ينجحوا، ولم يحصلوا على طائل، بل أنساهم الله مصالح أنفسهم، وأغفلهم عن منافعها وفوائدها، فصار أمرهم فرطا، فرجعوا بخسارة الدارين، وغبنوا غبنا، لا يمكنهم تداركه، ولا يجبر كسره، لأنهم هم الفاسقون، الذين خرجوا عن طاعة ربهم وأوضعوا في معاصيه"[٥٧].

– **معالجة أمراض القلوب**، فالتزكية توقظ الضمير وتنمي الشعور بالمسؤولية؛ لأن الزكاة هي النماء والزيادة في الصلاح وكمال الشيء، قال الله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، فجمع بين الأمرين: الطهارة والزكاة؛ لتلازمهما. فإن نجاسة الفواحش والمعاصي في القلب بمنزلة الأخلاط الرديئة في البدن، وبمنزلة الدغل في الزرع، وبمنزلة الخبث في الذهب والفضة والنحاس والحديد، فكما أن البدن إذا استفرغ من الأخلاط الرديئة تخلصت القوة الطبيعية منها فاستراحت، فعملت عملها بلا معوق ولا ممانع، فنما البدن، فكذلك القلب إذا تخلص من الذنوب بالتوبة فقد استفرغ من تخليطه، فتخلصت إرادة القلب وإرادته للخير، فاستراح من تلك الجواذب الفاسدة والمواد الرديئة: زكا ونما، وقوى واشتد، وجلس على سرير ملكه، ونفذ حكمه في رعيته، فسمعت له وأطاعت. فلا سبيل له إلى زكاته إلا بعد طهارته، كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠﴾ [النور: ٣٠]؛ فجعل الزكاة بعد غض البصر وحفظ الفرج. ولهذا كان غض البصر عن المحارم يوجب ثلاث فوائد عظيمة الخطر، جليلة القدر: إحداها: حلاوة الإيمان ولذته، التي هي أحلى وأطيب وألذ مما صرف بصره عنه، وتركه لله تعالى ... الفائدة الثانية في غض البصر: نور القلب وصحة الفراسة ... الفائدة الثالثة: قوة القلب وثباته وشجاعته[٥٨].

---

[٥٦] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٧٧/٨)، باختصار يسير.

[٥٧] تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: ٨٥٣).

[٥٨] ينظر: إغاثة اللهفان، ابن القيم، (٤٧/١، ٤٨).

– **أداء العبادات** على أكمل وجه، فهي سبيل قويم للتزكية وصلاح القلب والجوارح، قال تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣]، وقال: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧].

وعلى الداعي حث المدعوين على تجنب معوقات التزكية وتحذيرهم منها، فمنها:

– **الكبر والغرور**، قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف: ١٤٦]، وقال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء: ٣٧].

– **اتباع الهوى، والتعلق بحب الدنيا الفانية**، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٧-٤١]، وقال: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص:٤٩–٥٠]، وقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣].

– **تزيين الشيطان وتسويله**، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٨ –١٦٩]، وقال: ﴿*يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ

يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾﴾[النور: ٢١].

وللتزكية آثار كبيرة في صقل شخصية الداعي وفي تعامله مع ربه وخالقه صدقاً، وصبراً، وتوكلاً، ودعاء، وذكراً، وحباً للدعوة، ومع نفسه مجاهدة وتخلية وتحلية وإقبالاً على تطهيرها وتنميتها وتهذيبها، وفي تعامله مع المجتمع من حيث تنقيته من الرذائل وسيئات الأخلاق، وزرع المحبة والثقة بين أفراد المجتمع.

المطلب الثالث: واجبات الداعية المتعلقة بمقصد تعليم الكتاب

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾[البقرة: ١٢٩]، وقال: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة: ١٥١]، وقال: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾﴾[الجمعة: ٢].

هذا هو المقصد الثالث من مقاصد البعثة النبوية، وهو يتسق مع مقصدي التلاوة وتزكية النفس السابقين، ويكملهما، والكتاب "هو القرآن؛ لأنه الكتاب الكامل الذي إذا أطلق اسمه انصرف إليه، لأنه الكامل كمالا مطلقًا"[٥٩].

ومعنى تعليم الكتاب: يعلمهم القرآن وأسرار الشريعة ومقاصدها بسيرته بين المسلمين فيكون قدوة لهم في أقواله وأفعاله[٦٠]، و"يعلمهم الخير فيفعلوه، والشر فيتقوه، ويخبرهم برضاه عنهم إذا أطاعوه واستكثروا من طاعته، وتجنبوا ما

[٥٩] زهرة التفاسير، أبي زهرة، (١/٤٠٩).

[٦٠] تفسير المراغي، المراغي، (١/٢١٧).

سخط من معصيته"[٦١]، ويعلمهم "ما به تكمل نفوسهم من العلوم والمعارف"[٦٢]، ويعلّمهم ما يوحى إليه به من كتاب وعلم نافع وشريعة محكمة[٦٣].

وتعلمه يكون ببيان معانيه وحقائقه، ليعرفوا ما أقامه لهم من دلائل التوحيد وما اشتمل عليه من أحكام وحكم ومواعظ وآداب"[٦٤].

وقد أكدت هذا المقصد جملة من النصوص، منها: قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣]، وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤]، وقوله: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل: ٦٤]، أي: ما قص من أخبار الأمم الخالية في القرآن إلا لتُبَيّن لهم ما يختلفون فيه من الدين والأحكام؛ فيذهبون فيها إلى خلاف ما يذهب إليه المسلمون، فتقومُ الحجةُ عليهم بدعائك وبيانك[٦٥].

وفي الحديث: ((**ألا إني أوتيت الكتاب، ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه**))[٦٦].

ولقد قام الرسول ﷺ بمهمة البيان والتبليغ والتعليم ﷺ خير قيام، فكما تلقى القرآن وتعلمه من أمين الوحي قام بإقرائه الصحابة، واجتهد في تعليمهم، والنصوص على ذلك كثيرة، منها ما يلي:

---

[٦١] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (١/٤٤٥).

[٦٢] التفسير الواضح، الحجازي، (١/٧٥).

[٦٣] المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، (ص: ٢٨).

[٦٤] التفسير الوسيط، طنطاوي، (١/٢٧٤).

[٦٥] ينظر: التفسير البسيط، الواحدي، (١٣/١٠٧).

[٦٦] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، (٤/٢٠٠)، برقم (٤٦٠٤)، وصححه الألباني، في مشكاة المصابيح (١/٥٧).

قال ابن عمر ﷺ: ((كان النبي ﷺ يقرأ علينا السورة فيها السجدة، فيسجد، ونسجد حتى ما يجد أحدنا موضع جبهته))[٦٧].

وقال جابر ﷺ: ((كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن))[٦٨].

وقال ابن عباس ﷺ: ((كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن))[٦٩].

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن النبي ﷺ تولى تعليم أصحابه ما ينزل عليه من الوحي، وكان يعلِّم مَن يدخل في الدين الجديد القرآن والفرائض، وكانت البيوت في أول عهد النبوة هي أماكن التعليم.

وكان النبي ﷺ إذا دخل رجل في الإسلام دفعه إلى الصحابة، وقال لهم: ((**فقهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه وعلموه القرآن**))[٧٠].

وكتاب الله الحكيم احتوى على منهج متكامل لبناء الشخصية المسلمة؛ فحوى الأحكام العقدية والتشريعات التعبدية والعملية، والأحكام الأخلاقية الصالحة لكل زمان ومكان، الملائمة للفطرة، فلابد أن يكون الداعية ذا أهلية لاستيعاب المعارف والمبادئ والتشريعات التي يشتمل عليها القرآن الكريم والسنة المطهرة، وعليه فهو يبني الشخصية في كافة جوانبها.

فتعليم الكتاب هو أساس البناء العملي، فمن المدعوين من يجهل كثيراً من أحكام دينه، فيقع الخلل في عباداته ومعاملاته وزواجه وطلاقه، فيحتاج إلى تصحيح هذه العبادات والمعاملات، ومعرفة الأحكام الشرعية، فعلى الداعي أن يبين للناس ما يحتاجون من أحكام دينهم، وينبههم إلى ما يقعون فيه من الخلل والنقص في عباداتهم ومعاملاتهم،

---

[٦٧] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب من سجد لسجود القارئ، (٤١/٢)، برقم (١٠٧٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب سجود التلاوة، (٤٠٥/١)، برقم (٥٧٥).

[٦٨] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، (٣٦٥/١)، برقم (١١٧١).

[٦٩] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، (٣٠٢/١)، برقم (٤٠٣).

[٧٠] كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، (٥٦٥/١٣)، السيرة النبوية، ابن كثير، (٤٨٧/٢).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ١٨٧﴾ [آل عمران:١٨٧].

ومن واجبات الداعية المتعلقة بمقصد تعليم الكتاب في الآية:

- تبليغ الحق للناس بوضوح، دون تحريف أو مجاملة.

- التحذير من كتمان العلم، وهو من أعظم الخيانات للدعوة والعلم معًا.

- الصدق في حمل الدعوة وعدم الاتجار بها، لتحقيق منافع وأغراض دنيوية، فالدعوة أمانة وسلعة شريفة لا تباع بالأغراض الدنيوية[٧١].

- الوفاء بميثاق الدعوة من البيان، والنصح، وعدم التفريط في أمانة العلم والدعوة.

وتعليم الكتاب هو أساس البناء الروحي الإيماني، فيكون ذا صلة قوية بربه ويكون عبداً خاشعاً منيباً مطيعاً، قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ١٠ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ [الطلاق: ١٠ -١١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ١٣﴾ [الجن: ١٣].

ومن واجبات الداعية المتعلقة بمقصد تعليم الكتاب في هذه الآيات:

- تبليغ آيات الله بوضوح، فلا أن يكتفي بالتلاوة دون شرح أو تبيين.

- الدعوة إلى الإيمان بالوحي عند سماعه، فالداعية يُعلّم الناس أن الاستجابة للوحي تثمر السلامة من البخس والرهق في الدارين.

- الربط بين العلم والعمل فتعليم الكتاب ليس غاية في ذاته، بل وسيلة للهداية.

- التحذير من الإعراض عن الذكر؛ لأن الله أنزل الذكر رحمة وهداية، فمن أعرض عنه فقد ضل.

إن تعليم الكتاب هو أساس البناء الخلقي للداعي والمدعو معاً؛ لأنه "احتوى أرقى وأوفى ما عرفت البشرية وعرف التاريخ من هدايات الله ورسوله والناس، وانتظم كل ما يحتاج إليه الخلق في العقائد والأخلاق، والعبادات

[٧١] مدخل إلى علم الدعوة الإسلامية، أحمد محمود عيساوي، (ص: ٤٧).

والمعاملات على اختلاف أنواعها، وجمع بين مصالح البشر جميعا في العاجلة والآجلة، ونظم علاقة الإنسان بربه وبالكون الذين يعيش فيه ووفق بطريقة حكيمة بين مطالب الروح والجسد"[٧٢].

وتعليم الكتاب هو أساس البناء الخلقي، ويشمل ما "ينظم علاقة الفرد بنفسه أو بالناس، أفراداً أو جماعات أو بالكون أو بالخالق، طبقاً لما جاء به القرآن الكريم، وتهدف من ذلك إلى سعادة الإنسان عن طريق إرضاء الله، بحيث تصبح الأخلاق هي ذلك النشاط الذي يربط بين تعاليم القرآن، وبين الإنسان، فرداً وجماعة، بحيث تتحول هذه التعاليم إلى حياة يومية تمارس"[٧٣].

وتعليم الكتاب أساس البناء النفسي للداعي والمدعو معاً، وغرس الدوافع النفسية النبيلة، وتعزيز الطاقات الفاعلة التي تسهم في تحقيق التوازن النفسي والعاطفي، والتكيف مع المحيط الاجتماعي، فيبين الداعي للمدعوين أن كل شيء بيد الله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾ [الحديد: ٢٢ – ٢٣].

وبذلك تتحقق الربانية المرتجاة من تعليم الكتاب ودراسته، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩]، إن "الذي يربي الربانية هو الاستمرار والدؤوب على أمرين اثنين: أولهما: دراسة الكتاب المنزل الذي بينه الرسول، فهو يدرسه مع شارحه، ويقطع كل الحجزات التي تحول بينه وبين هذه الدراسة، فلا يأخذ دين الله عن غير كتاب الله الذي بينه رسول الله تعالى. ثانيهما: استيعاب علم الكتاب وتعليمه من البعض ليتمكن الدارسون من أن يعرفوا حقيقة كتاب الله، والاهتداء بهديه. وقُدِّم تعليم علم الكتاب على دراسته لأمرين: أولهما: الإشارة إلى جرم أهل الكتاب الذين اتجهوا إلى تعليم الناس أهواءهم بدل أن يعلموهم كتاب الله.

---

[٧٢] المنهج النبوي في التربية بالقرآن، زكريا دولا، (٢/٦٤).

[٧٣] آثار تعليم القرآن الكريم على الفرد، خالد باجحزر، (ص: ٢٠).

وثانيهما: أن بيان الدراسة من غير تعليم وتدريس خبط عشواء. وسير في ظلماء؛ كما يحاول ملاحدة اليوم الذين يريدون أن يفهموا القرآن من غير أن يعلموا شيئا حتى علم العربية"[٧٤].

ونستطيع القول هنا بأن تعليم الكتاب باعتباره المصدر الأول للدعوة يوجب على الداعي ما يأتي:

-أن يتطرق في دعوته لأهم الموضوعات التي تناولها القرآن الكريم ويراعي الأولويات الدعوية، ويبدأ بالأهم فالمهم، ويأتي على رأسها غرس عقيدة التوحيد، ثم بيان الأحكام الشرعية التي تهم المدعو في حياته ثم بيان أهمية الخلق الرفيع في حياة المسلم، وهذا منهج النبي، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

- توضيح منزلة وفضل القرآن الكريم وفضائل سوره وآياته للمدعوين، وثواب التعلق به والعيش معه، وأنواع هجره، ومنها هجر تلاوته والعمل به وتحكيمه وتدبره وتلاوته، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٨ -٧٩]، وقال: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ۝٣٠﴾ [الفرقان: ٣٠].

- بيان المفاهيم القرآنية الصحيحة، كتصحيح النية في كل عمل يقومون به حتى يصبح عبادة راسخة لا عادة مألوفة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢ -١٦٣].

- ألا يخص بتعليم القرآن وتبليغه بأحد دون أحد، قال تعالى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝١٩﴾ [الأنعام: ١٩].

---

[٧٤] زهرة التفاسير، أبي زهرة، (٣/١٢٩٠، ١٢٩١).

– **استعمال الأساليب القرآنية في الدعوة**، عملاً بقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، وعلى الداعي أن يستعمل التبشير والإنذار، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ٩٧﴾ [مريم: ٩٧]، فيستعمل القصة وهي منهج الرسل عليهم السلام، قال تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وخير القصص وأحسنه ما جاء في القرآن فهو القصص الحق، وفيه الإيقاظ من الغفلة، قال تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾ [يوسف: ٣]، ويستعمل الداعي ضرب الأمثال ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ٢٦﴾ [إبراهيم: ٢٤ – ٢٦]، والقدوة، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وغيرها من الأساليب الدعوية.

– **التنبيه إلى خطورة الإعراض عن كتاب الله**، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ٩٩ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ١٠٠﴾ [طه: ٩٩ –١٠٠].

– **ومن واجباته العمل بما علم وحمل أمانة التبليغ بمسؤولية واقتدار**، ومخالفة أهل الكتاب في ذلك، قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥﴾ [الجمعة: ٥]، وعاقبة الكتمان اللعن وعدم التزكية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة: ١٥٩]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤﴾ [البقرة: ١٧٤].

– **ومن واجباته أن يلتمس الأجر على دعوته من الله تعالى**، على تبليغ القرآن ودعوة الناس إلى أحكامه، وقد ثبت بالقرآن أنه كان يدعو بالقرآن، ويذكر به، وأنه لا يسأل على ذلك أجراً. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٞ ٢٣﴾ [الشورى: ٢٣].

وهذا هدي الأنبياء أجمعين، كما حكى عنهم القرآن الكريم.

المطلب الرابع: مقصد تعليم الحكمة

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقال: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾ [البقرة: ١٥١]، وقال: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢﴾ [الجمعة: ٢]، وأكد ذلك بقوله: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾ [النساء: ١١٣].

والحكمة في اللغة: تدل على الفصل، وهي إصابة ورجاحة العقل، والفهم في الدين، وهي تمنع صاحبها من الرذائل، وهي تعين كل من يتحلى بها على إتقان كل ما يقوم به[٧٥].

[٧٥] ينظر: جامع البيان، الطبري، (٣/٨٦، ٨٧)، تهذيب اللغة، الأزهري، (٤/٦٩)، مختار الصحاح، الرازي، (ص: ٦٢)، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (١/١١٩)، لسان العرب، ابن منظور، (١٢/١٤٣)، المصباح المنير، الفيومي، (١/١٤٥)، القاموس المحيط، الفيروزآبادي، (ص: ١٤١٥)، تاج العروس، الزبيدي، (٨/٢٥٣)، المعجم الوسيط، إبراهيم

واصطلاحا: "فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي"[٧٦].

أو هي: "الإصابة في الأقوال والأفعال، ووضع كل شيء في موضعه"[٧٧].

وأساس الحكمة توحيد الله ﷻ، فلا حكمة لمن كان مشركاً، ولا حكمة لمن كان جاهلاً بدينه، ولا حكمة لمن كان متعجلاً متسرعاً، ولا حكمة لمن لم يكن عادلاً.

وقد اختلف المفسرون في الحكمة المقصودة في آيتي سورة البقرة وآل عمران والجمعة، ففي الآية (١٢٩) من سورة البقرة ذكر الإمام الطبري الاختلاف في معناها ورجح أحدهما، فقال: "ثم اختلف أهل التأويل في معنى الحكمة التي ذكرها الله في هذا الموضع؛ فقال بعضهم: هي السنة ... وقال بعضهم: الحكمة هي المعرفة بالدين والفقه فيه ... والصواب من القول عندنا في الحكمة أنها العلم بأحكام الله التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول ﷺ، والمعرفة بها، وما دل عليه ذلك من نظائره"[٧٨].

وقد ذكر ابن كثير المعنيين، ثم قال: "ولا منافاة"[٧٩].

وفي الآية الثانية من سورة البقرة (١٥١) جمع الطبري بين المعنيين اللذين ذكرهما في معنى الحكمة في الآية (١٢٩)، فقال: "ويعني: بالحكمة السننَ والفقهَ في الدين"[٨٠].

وخص ابن كثير معنى الحكمة هنا في الآية (١٥١) بالسنة، وقد جاء بكلام نفيس جداً، فقال معقباً على الآية: "يذكر تعالى عباده المؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثة الرسول محمد ﷺ إليهم، يتلو عليهم آيات الله مبينات ويزكيهم، أي: يطهرهم من رذائل الأخلاق ودنس النفوس وأفعال الجاهلية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويعلمهم الكتاب –وهو القرآن–والحكمة –وهي السنة–، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون. فكانوا في الجاهلية الجهلاء يسفهون

مصطفى، (ص: ١٩٠).

[٧٦] مدارج السالكين، ابن القيم، (٤٤٩/٢).

[٧٧] مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد القحطاني، (ص: ١٣).

[٧٨] جامع البيان، الطبري (٨٦/٣، ٨٧).

[٧٩] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤٤٤/١، ٤٤٥).

[٨٠] جامع البيان، الطبري، (٢١١/٣).

بالقول الفرى، فانتقلوا ببركة رسالته، ويمن سفارته، إلى حال الأولياء، وسجايا العلماء فصاروا أعمق الناس علما، وأبرهم قلوبا، وأقلهم تكلفا، وأصدقهم لهجة. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤]"[٨١].

والداعي بحاجة ماسة لمعرفة السنة النبوية في دعوته باعتبارها المصدر الثاني من مصادر التشريع، وهي أيضاً المصدر الثاني للدعوة، فهي وحي من عند الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣ - ٤]، وهي الشارحة والمفصلة والمبينة والمخصصة والمقيدة والموضحة للقرآن الكريم، وهي خير معين للداعي على تبليغ كتاب الله تعالى. وأقوال النبي وأفعاله وتقريراته وصفاته كلها سنة واجبة الاتباع والاقتداء والتمثل في حياة الداعي والمدعو، فعلاً أو تركاً، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧]، وعليه فالداعي يحتاج للحكمة بشقيها:

الأول: السنة، كمصدر للدعوة بجانب القرآن الكريم.

والثاني: أسلوب ومنهج في الدعوة لا يغادره الداعية بحال من الأحوال.

وللحكمة ثلاثة أركان عند الإمام ابن القيم هي: "العلم، والحلم، والأناة[٨٢]، وهذه أهم الصفات التي ينبغي أن يكون عليها الداعي، فالدعوة إلى الله تعالى ترتكز على الحكمة والبصيرة، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

والداعي الحكيم يجب عليه سلوك منهج الحكمة في دعوته كلّها؛ فالحكمة لا تأتي إلا بالخير، بل هي خير كلها، ولا حدود لخيرها.

---

[٨١] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (١/٤٦٤).

[٨٢] مدارج السالكين، ابن القيم، (٢/١٨١).

وعلى الداعي أن يسعى لتحصيل أسباب الحكمة، ولكي يملك أسبابها فليعمل جاهداً على تحقيق تلك الأركان والقواعد، وليبتعد عن كل ما من شأنه أن يكون من خوارم الحكمة؛ كالجهل، واتباع الهوى والشيطان، وعدم ضبط النفس، والخلط في المفاهيم، واستعمال الغلظة والعنف، وتجنب آفاتها وأضدادها؛ قال ابن القيم: "وآفاتها وأضدادها: الجهل والطيش، والعجلة؛ فلا حكمة لجاهل، ولا طائش، ولا عجول"[٨٣].

ويجب على الداعي كي يمارس مسؤوليته الدعوية بحكمة على الوجه المأمول أن يكون على علم بمبادئ دينه، وأن يتزود بالمهارات الفكرية والعملية، وأن يلم بمعالم الحكمة التي ينبغي مراعاتها في دعوته، وهي كثيرة، وأهمها:

– **اختيار أحسن الألفاظ، (يا بني) (يا قوم)، (يا أبتِ)**، لما يحمل من دلالات التلطف في الخطاب والإشفاق على المدعوين وقيم التسامح والرحمة والحب، فتنشرح صدورهم، وقد يحملهم على الإصغاء والاستجابة، قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان: ١٦ – ١٧]، ففي قوله: (بني) تصغير ابن وهو يفيد الإشفاق والتحبب[٨٤]. وقصص الأنبياء حافلة بذلك في مخاطباتهم قومهم ومن يدعونهم.

– **معرفة أحوال المدعوين واستعمال الأسلوب الدعوي المناسب لحالهم**، مع بيان علة الأمر أو النهي، "فلا يكتسب المنهج أو الأسلوب الدعوي صفة الحكمة إذا ساوى بين حالة الضعف وحالة القوة، أو بين حالة السلم أو الحرب، أو بين حالة عموم البلوى بالشيء وغيرها، كما لا يُعد حكيماً إذا لم يفرق بين الكبير والصغير ويتلمس الحاجة الدعوية لكل منهما، ولم يرع الفروق المرأة والرجل، ولا بين العالم والجاهل، والعدو والصديق، والحاكم والمحكوم، وما إلى ذلك من أحوال ومستويات تقتضي التفريق، وهذا ما فعله الرسول، فقد أرسله الله تعالى إلى قوم اختلفت عقائدهم ما بين إلحاد، وشرك، وإنكار للبعث، فلذلك خاطب أصحاب كل معتقد منهم على حسب اعتقاده وفكره الديني، ولذا بين للمشركين عجز وضعف الآلهة التي عبدوها من دون الله"[٨٥].

---

[٨٣] مدارج السالكين، ابن القيم، (١٨١/٢).

[٨٤] التفسير المنير، وهبة الزحيلي، (١٤٣/٢١).

[٨٥] التربية بالقرآن في ضوء السيرة النبوية، عفاف الهاشمي، (٩٥/٢، ٩٦).

وقد أمر الله نبيه بالعطف واللين، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩]، والشدة والغلظة مع الكفار والمنافقين ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة: ٧٣].

– **التدرج في الدعوة**، فلقد بدأ النبي ﷺ الدعوة السرية لمدة ثلاثة أعوام، ثم أذن له بالصدع بالدعوة فقال: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر: ٩٤]، وقد تناوشه أعداء الدعوة من كل جانب، فهاجر بدعوته من أجل إيجاد بيئة صالحة حاضنة للدعوة، فأحدث ذلك تغييرا جذريا في مسار الدعوة وفي عدد المؤمنين بها، فـ"من الحكمة أن نتدرج بالمدعو بحسب حاله، وبحسب ما يكون قابلا بدعوتنا، أما أن ننفره فنقول: أنت على ضلال، أنت من أهل النار، أنت خاسر، فإن هذا لا يحصل به خير، بل يحصل به التنفير عن دين الإسلام"[٨٦].

فـ"الحكمة قاضية بالتدرج وصولا إلى المطلوب؛ لأن الطبائع لا تقبل التكاليف جملة واحدة، ولا تتخلى عن عادتها ومألوفها دفعة واحدة، ولا تقلع عما ترسخ وتوطن هكذا فوراً، وإنما يروض الناس على قبول التكاليف ترويضا، ويفطموا عن عاداتهم شيئا فشيئا حتى يتخلوا عنها ويقلعوا"[٨٧].

ولا يكتمل عمل الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر المبلغ عن الله تعالى ورسوله ﷺ إلا بأن "ينتبه إلى سلم الأولويات في الدعوة إلى الله تعالى فيركز على الضروريات ثم الحاجيات ثم التحسينيات، وما فيه مصلحة عامة على ما فيه مصلحة خاصة"[٨٨].

– **إعمال قواعد الموازنة والترجيح بين المصالح والمفاسد**، كان هذا منهجه ﷺ في إحداث التغيير قائم على العقيدة الخالصة الصحيحة، ورفض كل شيء يفسد ويعكر من صفوها؛ لأن الدخول في تفاصيل الإسلام تقتضي

---

[٨٦] فتاوى العلماء حول الأقليات المسلمة، صلاح الدين السعير، (ص: ١٥).
[٨٧] من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق، عبد الله الزبير، (ص: ١١٩).
[٨٨] أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية وأثرها في فهم النص واستنباط الحكم، الجندي، (ص: ١١٦).

في البداية الاعتراف بحقيقة لا إله إلا الله ورفض ما يخالفها أو يناقضها، والخضوع لله والاستسلام له قبل الحديث عن الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم. لذلك ركز على بيان حقيقة لا إله إلا الله، وكان ينادي ﷺ في الناس: ((**يا أيها الناس: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**))[٨٩].

– **مراعاة فقه الأولويات**[٩٠]، **والبدء بالأهم فالمهم؛ كالبدء بأصول الاعتقاد**، وهذا منهج الأنبياء عليهم السلام، ووصية النبي ﷺ لصحابته حين يبعثهم؛ فقد قال لمعاذ رضي الله عنه: ((**إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم ...**))[٩١].

فـ"فقر العبد إلى أن يعبد الله لا يشرك به شيئاً ليس له نظير فيقاس به ... فإن حقيقة العبد قلبه وروحه، وهي لا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره، ولو حصل للعبد لذات وسرور بغير الله فلا يدوم ذلك بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، وأما إلهه فلا بد منه في كل حال وكل وقت وأينما كان فهو معه"[٩٢].

وكان هديه ﷺ في إحداث التغيير "قائم على العقيدة الخالصة الصحيحة، ورفض كل شيء يفسد ويعكر من صفوها، لأن الدخول في تفاصيل الإسلام تقتضي في البداية الاعتراف بحقيقة لا إله إلا الله ورفض ما يخالفها أو يناقضها، والخضوع لله والاستسلام له قبل الحديث عن الأوامر والنواهي والتحليل"[٩٣].

---

[٨٩] أخرجه ابن حبان في صحيحه، (٥١٧/١٤)، وقال الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٦٨): "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي (٤٢١٩).

[٩٠] فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية، سعد القعود، (ص٢٢).

[٩١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، (١٢٨/٢)، برقم (١٤٩٦).

[٩٢] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٢٤/١).

[٩٣] الأسس المنهجية للتربية بالقرآن وتطبيقاتها في ضوء السيرة النبوية، آمال عتيبة، (٣٢٩/٢).

– **التنويع بين أساليب الدعوة بحسب الحال وطبائع الناس**، وهي علاج ناجع له آثار باهرة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦﴾ [المؤمنون: ٩٦]، قال ابن كثير: "ثم قال مرشداً له إلى الترياق النافع في مخالطة الناس، وهو الإحسان إلى من يسيء، ليستجلب خاطره، فتعود عداوته صداقة وبغضه محبة، فقال: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾، وهذا كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥]: أي: ما يلهم هذه الوصية أو الخصلة أو الصفة (إلا الذين صبروا) أي: على أذى الناس، فعاملوهم بالجميل مع إسدائهم إليهم القبيح، (وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) أي: في الدنيا والآخرة"[٩٤].

– **دعوة من هم أشد حاجة للدعوة**؛ ومن سيكونون كرصيد مذخور لها في قابل الأيام كما بدأ النبي دعوته بالأقارب، ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤]؛ "إذ العشيرة مظنة المقاربة والطواعية. وإذ يمكنه معهم من الإغلاظ عليهم ما لا يحتمله غيرهم فإن البر بهم في مثل هذا الحمل عليهم والإنسان غير متهم على عشيرته"[٩٥].

[٩٤] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤٩٢/٥).

[٩٥] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (٤/ ٢٤٥).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد هذا العرض لواجبات الداعية في ضوء مقاصد البعثة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام يطيب للباحث تسجيل النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً: أهم النتائج:

١. تحقيق التوحيد :أصل الرسالة وأساس الدعوة.

٢. ارتكزت البعثة النبوية على أربع مقاصد كلية هي: التلاوة، والتزكية، وتعليم الكتاب، وتعليم الحكمة، وهي مرتكزات شاملة لأي بناء عقدي، أو دعوي أو تربوي أو أخلاقي.

٣. مقاصد البعثة منظومة متكاملة لصياغة الشخصية المسلمة روحيا وعلميا ونفسيا وأخلاقيا واجتماعيا.

٤. بالتلاوة يتعمق الإيمان ويزداد الإقبال على كتاب الله وتستروح النفس لآيات الذكر الحكيم.

٥. تزكية النفس من المقاصد الأساسية التي تبني الشخصية المسلمة وبخاصة شخصية الداعية.

٦. القرآن الكريم والسنة اشتملا على موضوعات الدعوة ومنهجها وأساليبها ووسائلها، ولا قيمة لدعوة لا تجعل القرآن والسنة منهجًا وأسلوبًا ووسيلة.

٧. لا دعوة ناجحة إلا بحكمة، والحكمة عطاء إلهي.

٨. من واجبات الداعية في ضوء مقاصد البعثة النبوية استعمال الحكمة التي تقتضي ترتيب الأولويات الدعوية.

٩. إقامة الحجة، من خلال بيان الحق، وبيان الباطل بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحس.

١٠. إظهار الدين وسماحته ورقيه من خلال نشر القيم الإسلامية في المجتمع.

١١. من واجبات الداعية التفاعل الإيجابي مع المدعوين، وتلمس احتياجاتهم الدعوية.

١٢. من واجبات الداعية في ضوء مقاصد البعثة النبوية السعي إلى هداية الناس وإنقاذهم من النار، فالدعوة ليست مجرد تبليغ، بل هي سعي حقيقي لهداية الناس إلى الخير والنجاة.

ثانياً: التوصيات:

١٣. دراسة كل مقصد من مقاصد البعثة النبوية وتطبيقاته من خلال السيرة النبوية.

١٤. دراسة أثر مقاصد البعثة في بناء جيل الصحابة الكرام.

قائمة المصادر والمراجع

١. آثار تعليم القرآن الكريم على الفرد، خالد باجحزر، بحث مقدم للملتقى الثالث للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم لعام ١٤٢٧هـ.

٢. إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.

٣. الأسس المنهجية للتربية بالقرآن وتطبيقاتها في ضوء السيرة النبوية، آمال عتيبة، ملتقى التربية بالقرآن، مناهج وتجارب، جامعة أم القرى، ١٤٣٦هـ.

٤. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، ٢٦٧، أحمد البيهقي، تحقيق: أحمد الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.

٥. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض.

٦. أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية وأثرها في فهم النص واستنباط الحكم، سميح عبد الوهاب الجندي، دار الإيمان، الإسكندرية.

٧. البحر المحيط في أصول الفقه، محمد بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٨. تاج العروس، محمّد بن محمّد، المرتضى الزَّبيدي، دار الهداية، الكويت.

٩. التربية بالقرآن في ضوء السيرة النبوية، عفاف الهاشمي، ملتقى التربية بالقرآن، مناهج وتجارب، جامعة أم القرى، ١٤٣٦هـ.

١٠. التربية بالقرآن في ضوء السيرة النبوية، عفاف حسن الهاشمي، ملتقى التربية بالقرآن، مناهج وتجارب، جامعة أم القرى، ١٤٣٦هـ.

١١. تزكية النفس في القرآن الكريم، دراسة موضوعية، بدر الدين ناجي، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان، السودان.

١٢. التعبير القرآني والدلالة النفسية، د. عبد الله الجيوسي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط ١، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٦م.
١٣. التفسير البسيط، علي الواحدي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ.
١٤. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
١٥. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.
١٦. تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
١٧. التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد، بيروت، ط١٠، ١٤١٣هـ.
١٨. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
١٩. **تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.**
٢٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
٢١. تيسير اللطيف المنان ي خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد -المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
٢٣. الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء نصوص الكتاب والسنة، سعيد بن علي القحطاني، الناشر: موقع شبكة الألوكة.
٢٤. دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، تصوير دار المعرفة، ١٩٧١م.

٢٥. دلائل النبوة، أحمد بن الحسين البيهقي، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد المعطى قلعجى، دار الكتب العلمية بيروت، ودار الريان للتراث.
٢٦. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى، المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي، بيروت.
٢٧. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.
٢٨. السيرة النبوية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ١٣٩٥هـ -١٩٧٦م.
٢٩. شرح النووي على صحيح مسلم، يحي بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
٣٠. شرح تنقيح الفصول، أحمد بن إدريس المالكي القرافي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط١، ١٣٩٣هـ.
٣١. شرح مختصر الروضة، سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
٣٢. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري -مطهر بن علي الإرياني -يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت -لبنان)، دار الفكر (دمشق -سورية)، ط١، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.
٣٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ.
٣٤. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، البُستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.
٣٥. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٦. صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.

٣٧. صحيح السيرة النبوية، محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمَّان، ط١.

٣٨. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٩. صفات الداعية إلى الله في الحديث النبوي، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية أصول الدين قسم الحديث، في الجامعة الإسلامية، أحمد محجوب خلف عبد الله الجبوري، ١٤٣١هـ.

٤٠. علم الدعوة إلى الله تعالى: حقيقته وأهميته، دراسة تأصيلية، محمد بن سعد بقنة الشهراني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤٣٣هـ. ٢٠١٢م.

٤١. فتاوى العلماء حول الأقليات المسلمة، جمع وترتيب: صلاح الدين محمود السعير، دار القمة -دار الإيمان، الإسكندرية.

٤٢. فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية، سعد بن عبد الله القعود، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤٣٢هـ

٤٣. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

٤٤. قواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية: دراسة فقهية، عابد الثبيتي، (ص: ٢٠٤). دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٨هـ.

٤٥. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين ابن قاضي خان الشهير بالمتقي الهندي، المحقق: بكري حياني -صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٤٦. لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٤٧. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط٣، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م.

٤٨. مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٤٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٥٠. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م.

٥١. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.

٥٢. مدخل إلى الدعوة الإسلامية، أحمد محمود عيساوي، دار الكتاب العربي، ٢٠٢٣م.

٥٣. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

٥٤. مسند أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بالاشتراك، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٥. مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م.

٥٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

٥٧. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

٥٨. معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط١.

٥٩. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الكويت، ط١، ٢٠٠٨م.

٦٠. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، ١٩٦٤م.

٦١. مفاتيح الغيب، محمد بن عمر التيمي، المعروف بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٦٢. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٣. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

٦٤. مقاصد الدعوة الإسلامية: دراسة تأصيلية، أيمن عطا الله، حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، جامعة الأزهر، المجلد (٢)، العدد (٣٧)، ٢٠٢٣م.

٦٥. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٧٩م.

٦٦. من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق، عبد الله الزبير عبد الرحمن، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية –قطر، العدد ٥٦، ١٤١٧هـ.

٦٧. منازل السائرين، عبد الله الأنصاري الهروي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

٦٨. المنتخب في تفسير القرآن الكريم، تأليف: لجنة من علماء الأزهر، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية –مصر، طبع مؤسسة الأهرام، ط١٨، ١٤١٦هـ –١٩٩٥م.

٦٩. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م.

٧٠. المنهج النبوي في التربية بالقرآن، زكريا دولا، ملتقى التربية بالقرآن مناهج وتجارب، جامعة أم القرى، ١٤٣٦هـ.

٧١. المهذب في علم أصول الفقه المقارن، عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

٧٢. النهاية في غريب الحديث، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى –محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ –١٩٧٩م.

٧٣. الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: سيدة إبراهيم، دار الحديث –القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م.

٧٤. الوحي المحمدي، محمد رشيد بن علي رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ –٢٠٠٥م.